







تأليف

أبو حب الله (عضو منتدى التوحيد)

تصميم

حسن المالكي

مُقَدِّمَة

بسم الله وبه نستعين

الإخوة الكرام

من واقع ما تعلمته واستفدته من حواراتي العديدة مع الملحدين واللا أدريين :

استنتجت أنهم : واحد من اثنين :

إما أنه مصدوم في الدين بسبب موقف معين من المواقف التي مرت به : جعلته يظن سوءاً بالدين أو بالمتدينين .

وإما أنه صاحب شبهة فعلاً : تم انتقالها إليه من الكتب الفلسفية أو من الإعلام .. أو من النت .. أو من رفاق السوء ...سواء شبهة في الدين لم يعرف لها جواباً ..أو سواء شبهة في مسائل خلق الكون والإنسان وما شابهها ..وخصوصاً عند إلباس هذه الشبهة لبسة الثقافة أو تزيينها بزينةالعلم في الظاهر : فتخدع كل مَن كان ليس راسخاً في العلم أو الإيمان .

وأما أكثر هؤلاء تأثراً بالحوار : ورجوعاً إلى الحق :

فهو الملحد المصدوم في الدين بموقف من المواقف .. وأيضاً :

الملحد الذي يبحث عن الحق والإجابة .. وليس الجدال العقيموالانتصار للنفس والهوى والرأي : حتى ولو كان مُخطئاً وذلك لأن فطرة الإيمان بالله عز وجل : هي فطرة ثابتة في كل إنسان .. قد زرعها الله تعالى في نفوسناجميعاً : لتكون حُجة علينا جنباً إلى جنب مع حُجة إرسال الرسل فبها عرف الإنسان معاني الخير والشر .. ومعاني التقوى والفجور .

« وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا .. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ..قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا .. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا « الشمس ٧ : ١٠

بـل ويجمـع اللـه تعـالى إلى نـداء الفطـرة : الاسـتدلال العقـلي أيضاً الـذي يؤيـد تلـك الفطـرة : حتـى ينطـق كل ذلـك بلسـان الحـال قائـلا « أَفِي اللّـهِ شَـكٌّ ؟!!.. فَاطِـرِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ » ؟

إبراهيم ١٠

ومن هنا

فقـد رأيـت أن أكتـب هـذه الرسـالة القصـيرة المختـصرة المتواضعـةفي أهـم النقـاط الأساسـية التـي يجـب التركيـز عليهـا في الحـوار مـع

ملحد أو لا أدري ... والله تعالى من وراء القصد .

ـ ملحوظـة : إذا ذكـرت الملحـد وحـده : فأنـا أعنـي بـه كذلـك الـلا أدري , والعكـس غـير صحيـح) .

بقلم أبو حب الله

AboHobElah@gmail.com

المحتويات

أولا : محاولة استشفاف السبب الرئيسي للإلحاد

فذلك يوفر بلا شك : الكثير من الوقت والجهد في الحوار كما يعمل على حصر تركيز الحوار في بضع نقاط قد تكون بسيطة :

بدلاً من التطرق لنقاط أخرى كثيرة فرعية : لم يكن المُلحد بحاجةللحديث عنها أو تفنيدها له أصلاً !!

(فقد تكون المشكلة كما قلنا : هي سوء فهم لمسألة ما .. أو شبهةدينية أو علمية معينة : يزول إلحاده بمجرد إزالة الشبهة والردعليها !!.. كأن يكون الملحد مثلاً قد حكم على الدين كله :

بفتوى أو معلومة خاطئة .. أو حتى بموقفٍ واحدٍ خاطيءٍ أو مُشين لبعض المسلمين : فنبين له ساعتها حكم الدين الصواب فيه .أو يكون قد درس هذه الشبهة ضمن الدراسات الفلسفية الأدبيةالإلحادية التي أفسدوا بها عقول ملايين الشباب المسلم !!.. أوحتى قد تكون الشبهة هي نتاج فيلم أو مسلسل : أو حتى مشهد مُعين فيه : حيث يبث الملحدين أفكارهم الخبيثة في هذه الأشياءبصورة مباشرة صريحة أو غير مباشرة .. كأفكار الكون الذييسير بانتظام كالساعة : من غير صانع !!.. أو فكرة العوالم الموازية !!.. أو حتى يكون قد تأثر بتلك الموجات الإعلاميةالضالة التي تُصور للناس أن الإلحاد : هو قمة الثقافة !!!!!.وأن الإيمان بوجود إله : هو قمة التخلف !!.. أو يكون ملحداً ممَن أفرزتهم الديانات المُحرفة أو الوثنية التي لا مكان للفطرةالسليمة فيها ...

فالإلحاد وحده يا إخواني :

لا يُصيب الإنسان الطبيعي من تلقاء نفسه !.. لأنه وكما قلنا : أن الإيمان بالله عز وجل : هو من الفطرة الأساسية التي يُولدعليها كل إنسان !.. يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم « ما من مولود : إلا يُولد على الفطرة »

رواه البخاري ومسلم وغيرهما

وهذا ما لاحظه غير المسلمين أنفسهم من أصالته في الإنسان !
يقول دكتور جاستين باريت Dr Justin Barrett :
وهو باحث في الأنثروبولوجيا و العقل :

« إن الديـن : أو الإيمـان بالله بشـكل خـاص : هـو حاجـة فطريـة ضروريـة !!.. بحيـث أنـك لـو تركـت الأطفـال بـدون تلقينهـم إلحـاداً :فسـوف يؤمنون بالله الخالق : بسـبب الشـعور الطفـولي الفطـري :بالسـببية والغائيـة (أي وجـود غايـة مـن خلـق الكـون والإنسـان)

young people have a predisposition to believe in a supreme being >> because they assume that everything in the world was created with a purpose.

كما أنه يُراعى في حال وجود أكثر من شبهة :
أن يبـدأ المحـاور بالـرد عـلى الشـبهات التـي يملـك تفنيدهـا بقوةواقتـدار أولاً .. فذلـك بمثابـة الإعـلان عـن نفسـه وقـوة حُجتـه أمـام الملحـد .. ويـؤدي لاحـترام مُبكـر : يضبـط أدب الحـوار فيـما بعـد .
كـما يُفضـل البـدء بالشـبهات التـي تتعلـق بوجـود اللـه تعـالى والإيمـان بـه أولاً ثـم يـأت مـن بعـد ذلـك الـرد عـلى باقـي الشـبهات.

ثانيا : التزام الأدب التام في الحوار والتبسيط الشديد في العبارات والجمل والمعاني على قدر المستطاع .

وذلك لأن معظم هؤلاء الملحدين (وخصوصاً اللا أدريين) الذين يهتمون بالحوار ويأتون له : هم ضحايا والله !.. وليسوا مثل :شياطين الإلحاد الذين : يعرفون الحق : ويُكابرون عنه !!!..
أو شياطين الإلحاد الذين يعملون جاهدين على : اختلاق الشبهات تلو الشبهات في طريق المؤمنين كل يوم !
أو يبحثون عن (المناظرات) التي قد تعطيهم بعض الشعور بالحق ! فهؤلاء هم الشياطين في جسمان بشر كما وصفهم رسولنا الكريمصلى الله عليه وسلم : دعاةٌ على أبواب جهنم : مَن أجابهم :
قذفوه فيها وأما غيرهم :
فيُرجى الصبر معهم .. والتحلم عليهم لأقصى حد .. فوالله : إنّ ما حدث لهم من إلحاد من بعد إيمان : إلا كسحابة أو غيامة قدغطت نور شمس النهار : وسوف تنجلي إن عاجلاً أو آجلاً !
حتى أن أكثرهم بعدما فاق لإنسانيته ولإيمانه من جديد :كان يطلب منا (إذا كان الحوار كتابةً مثلاً) :
أن نمحو كل ما كتب من أكاذيب وافتراءات وتجديفات على اللهعز وجل ودينه !
فالرفق الرفق يا كل محاور .. فوالله إن من الملحدين مَن يكرهنفسه بسبب إلحاده : مثلما نكره نحن الإلحاد نفسه !
وكما قال رسولنا الكريم :
« إنّ الرّفق لا يكون في شيء : إلا زانه (أي زينه وأتى بمراده)ولا يُنزع من شىء : إلا شانه «
وجاء في صحيح البخاري أيضاً قوله أيضاً صلى الله عليه وسلم :« مَن يُحرَم الرفق : يُحرَم الخير «
أيضاً من التأدب والرفق والصدق في الحوار .. أن يُقال (لا أعلم) :
إذا ما جهلت الإجابة على سؤال الملحد أو اللا أدري !
فذلك يُشعره بالاطمئنان أكثر إلى أنك (لا تخدعه) .. كما أنه يُشعره بصدقك والتزامك الديني والأخلاقي .. وأخيراً : فإن الإجابة المبتورة أو عن جهل (وإن نفعت قليلاً) : فإنها تضر أكثر مما تنفع !!.. وتنكشف بعد فترة : ولا تخدع .

ثالثا : التأكد مِن أن ما عند الملحد : هو فعلاً شبهات حقيقية : وليست وساوس مَرضية (كمرض الوسواس القهري).

وذلك لأن بعض مَن وقع الحوار معهم : كانت مشكلاتهم هي نفسية عصبية بالمقام الأول !!.. وبعرض العلاج النفسي والأدوية المهدئة تحت إشراف الطبيب عليهم : بدأوا في إحراز تقدم ملحوظ في ترك هذهالوساوس التي لم يستطيعوا إخراجها من عقولهم حتى بعد الرد عليها وتفنيدها لهم مرات ومرات !.

وأما كيفية معرفة هؤلاء وتمييزهم عن غيرهم من الملحدين .

فإليكم علامتين بسيطتين :

الأولى هي :

أنهم يُصرون على شبهة معينة أو بعض الشبهات التي : تم حلهالهم بأسلوب مقنع أكثر من مرة : وهم قد اقتنعوا به في كل مرة !ثم يعودون لنفس الأسئلة من جديد !!!..

وأما الثانية :

فهي أنه بسؤالهم عن حياتهم الشخصية : تجدهم من أكثر الناس وسوسةً مثلاً في مسألة الطهارة أو الخوف من أشياء غير محددةأو إعادة فعل الشيء الواحد : أكثر من مرة رغماً عنهم ... إلخ .

رابعاً : وأما ما دام أن الإلحاد : يدّعي تحكيم العقل في كفره ! إذاً : فلنُبين له خطأ ذلك العقل وتفكيره : الحُجة المنطقية بالحُجةالمنطقية والدليل العقلي بالدليل العقلي !

(وفي هذا : كلما كان لديك من العلم الديني والدنيوي الكثير : كلما كنت أقدر على بيان بطلان شبهات الملحد وخصوصاً تلك التي يُلبسها أكثرهم لبسةً علمية : وما هي بشيء أصلا وتعالوا نرى معاً بعض الأمثلة التي اعترف فيها الملحدنفسه : بخطأ تفكيره ومنهجه العقلي واختلال منطقه !فهناك مثلاً : مَن كان يُحاورني مُدافعاً عن القول بصدفة بداية الخلق .. مُتخذاً ركيزته في ذلك ما أسماه : الذرّة الابتدائية !

أي :

أول ذرة تكون عنها كل هذا الكون !

فقلت له بكل بساطة :

وعلى أي صورة كانت هذه الذرة الابتدائية ؟

أي :

هل كانت على صورة ذرة الهيليوم مثلاً ؟!.. أم الهيدروجين ؟

أم الأكسجين ؟!.. أم الكربون ؟!.. أم اليورانيوم ؟!.. إلخ .

أيضاً :

كيف انبثق عنها : ذرات جميع عناصر هذا الكون : بالتدرج في العدد الذري الذي نعرفه في جميع المواد ؟

أيضاً :

ما هو مصدر مكونات هذه الذرة الابتدائية ؟

فالذرة كما نعرف ودرسنا : ليست هي أصغر شيء في الوجود !

وإنما هي فقط : أصغر مُكوِن نعرفه الآن في الوجود ! إذ بداخلها : نواة .. بها بروتونات موجبة الشحنة .. ونيترونات متعادلة الشحنة !!.. وتدور حول نواة الذرة

هـذه : ألكترونـات : سـالبة الشـحنة !

والسؤال :

مـن أيـن أتـت هـذه المكونات للـذرة الابتدائيـة ؟ وأيهـم وُجـد أولاً؟ النيترونـات المتعادلة ؟ أم البروتونـات الموجبـة ؟. أم الألكترونات السـالبة ؟

وأخيراً :

كيـف يُتصـور أنـه من هـذه الـذرة الابتدائية الصغـيرة : ظهـرت كل المواد المُعقـدة المعروفة لدينـا عشـوائياً !!.. وأيضـاً : كل الكـون المُحكـم النظـام والقوانـين في كل أفلاكـه : سـواء عـن انفجـار عظيـم أو غـيره !!.. وأمـا الطامـة الكـبرى فهي :

إذا كان يُمكن (جدلاً) : تصور أنه ينتج عن هذه الذرة الابتدائية :

هذا الكون المُصمت .... فالسؤال الحقيقي هو :

كيـف أخرجـت لنـا هـذه الـذرة الابتدائيـة الحيـاة ! سـواء الخلايـا العضويـة لتلـك الأحيـاء (حيـوان أو إنسـان) : والتـي هـي غايـة في النظـام والـذكاء والاختياريـة الإراديـة لمـا يُفيدهـا ! أو سـواء في خلـق الـروح التـي هـي سر حيـاة الكائـن الحـي بأكملـه ! فـإذا نُـزعت منـه : مـات !

فلم يستطع محاوري الرد ..

وهذا آخر ..

دائمـاً مـا يضـع اللـه تعـالى في محـل المُسـاءلة (حاشـا للـه) ! والحقيقـة : أنه يتمـرد ويعترض عـلى قضـاء اللـه تعـالى وقـدره : مـن خلـف سـتار الإلحاد !

مثـلاً : يعـترض عـلى أن اللـه تعـالى سـيُعذب بـشراً للأبـد في النـار ! وأنـه : لم يسـاوِ بـين المؤمـن والكافـر .. والمُسـالم والسـفاح القاتـل المغتصـب !.

فأخبرتـه أن اللـه تعـالى : كـما هـو كامـل الرحمـة والمغفـرة مـع مَـن يسـتحق .. فهـو كامـل الجـبروت والعقـاب أيضـاً مـع مَـن يسـتحق ! فـماذا في هـذا !

ناهيـك عـن سـوء أدب سـؤال العبـد للـرب عـن أفعالـه : طالمـا أنـك تؤمنأصـلاً أنـه موجود ومتصـف بالقـدرة والكـمال والعدل !

« لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ .. وَهُمْ يُسْأَلُونَ « الأنبياء ٢٣ ..

حقـاً .. غريـب أمثـال هـذا الملحـد ! فهـل هـو يؤمـن بإلـه ؟!.. أم لا يؤمـن بإلـه ؟ لـو كان يؤمـن بإلـه : وعـرف أن هـذا الإلـه سيُعذب وسـيفعل كـذا وكـذا .. وسيُعامل المُحسـن بالإحسـان والمسيء بمـا يسـتحق .

فعلام الاعتراض إذاً؟

وأمـا لـو كان لا يؤمـن بإلـه : فـكان الواجـب عليـه أن يناقـش شـبهاته في إنـكار وجـود إلـه ابتـداءً : وليـس شـبهات : مـا بعـد الاعـتراف بوجـود إلـه !

فمثلـه : مثـل مَـن يُشـاغب حـول مسـألة جـبر اللـه لخلقـه عـلى الإيمـان أو الكفـر ! فأسـأله بـكل بسـاطة : أنـت الآن كافـر ملحـد .فهـل يمنعـك أحـد (((الآن))) : مـن أن تعلـن إسـلامك ؟

فإن قال : لا .

أقـول لـه : وهكـذا هـي فريـة جـبر اللـه تعـالى لخلقـه عـلى الكفـر ! وإن قـال متفلسـفاً : نعـم إن اللـه يسـتطيع التحكـم في قلبـي .

فأقول له :

إذاً : أنـت تؤمـن بوجـود اللـه !!.. وتسـتدل لنـا بأنـه يسـتطيع التحكـم في قلبـك !. فـما هـذا النفـاق والتناقـض الفكـري إذاً؟

فـإن كنـت تؤمـن بوجـود إلـه .. فالعبـد المخلوق : لا يسـأل ولا يعـترض على الإلـه الخالق !!.. وخصوصاً وقـد أخـبر هـذا الإلـه الخالـق عـن نفسـه بأنـه : عـادل .. حكيم .. خبـير ... فهـو يصـف نفسـه بكـمال العـدل .. وأنـت الـذي تصفـه بالظلـم !.بـل : وبغـير دليـل منـك ولا بينـة معتـبرة : إلا مجـرد الظـن بالجـبر !.

فمَـن نُـصدق إذاً؟!!.. اللـه الخالـق العليـم الخبـير الـذي يضـع كل شيء وكل ذرة في هـذا الكـون في نصابهـا ومكانهـا الصحيـح :أم نصدقـك أنـت ؟!!!.... بـل : وفي أي آرائـك المغلوطـة نثـق :

رأيك في أنه : لا إله ؟!!.. أم رأيك في أنه : إله ظالم ؟

فلم يستطع محاوري الرد .

وهذا ثالث .
تعامت عينه .. وغفل قلبه .. وضل عقله :
فلم يرَ الحكمة والاتقان الكاملين في كل مخلوقات الله عز وجل : ولم يرَ التناسب التام بين كل مخلوق أو عضو في هذا المخلوق : وبين وظيفته التي اختارها الله تعالى له !
فأخذ يناقشني في فرضية وجود المخلوقات وأعضائها : صدفة !!..
فقلت له ...تعالَ معي نفترض فرضاً صغيراً ..حيث نفترض أننا جئنا بسيارة مرسيدس مثلاً .. ثم قمنا بتفكيكها إلى أجزاء صغيرة (أصغر جزء منها هو المسمار) .ثم وضعنا كل هذه الأجزاء في وعاء كبير مُعلق في الهواء : ثم قمنا بإلقاء كل ذلك على الأرض مرات ومرات !!..
والآن لننظر :
كم (ملياراً) من السنين سنحتاج من المحاولات : حتى نحصل على تلك السيارة كاملة : وواقفة على الأرض جاهزة للسير ؟!..فاندهش مُحاوري من هذا الفرض الغريب !!...
واندهش أكثر من هذه التجربة الأعجب ! وظل يُفكر برهةً من الوقت للخروج من المأزق بأي شيء (لأنه يعرف استحالة تكون السيارة بهذه الطريقة) .. فقال مُشاغباً : أعتقد أنك قد بالغت بكلمة (مليار) هذه !!.. إذ أننا (رياضياً) لو حصرنا عدد هذه الأجزاء : وليكن ألفين مثلاً .. ثم قمنا بضربه في بعضه (كما نعرف من نظرية الاحتمالات) : لحصلنا مثلاً على رقم هو : أربعة ملايين احتمال فقط للحصول على السيارة !!..فضحكت من سذاجة هذا الفرض الرياضي النظري ...والذي يضحكون به على البسطاء .. وقلت له :
هذا الفرض : خطأ من ناحيتين :
الناحية الأولى :
هو أنك لم تضع في الاعتبار : نسبة التكرار في هذه الاحتمالات ! ولأُعطيك مثالاً بسيطاً لو أنني قذفت بقطعة نقود للأعلى : ثم سألتك : ما هي احتمالية سقوطها

مـرةً عـلى وجـه الصـورة : أو مـرةً عـلى وجـه الكتابـة ؟
فستكون الإجابة بالطبع (ووفق احتمالاتك الرياضية النظرية) هي :
٥٠ ٪ لـكل منهـما !... أي : مـرة مـن كل مرتـين لـكل وجـه للعملـة ...حسـناً ..هـذه يُقـال عليهـا : النتيجـة ((((النظريـة)))) .
أما النتيجة ((((العملية)))) على أرض الواقع : فلا يعلمها إلا الله عز وجل !
فقـد (يتكـرر) سـقوط قطعـة النقـود عـلى وجـه الصـورة مثـلاً : عـشرة مـرات أو أكـثر : بصـورة متتاليـة : قبـل الوقـوع عـلى وجـه الكتابـة !.
والسؤال الآن ..
هـل تتخيـل مـن ضمـن الأربعـة مليـون احتـمال هـذه : مـاذا يحـدث لـو تكـرر منهـا عـددٌ مـن الاحتـمالات : بصـورة متتاليـة أو حتـى غـير متتاليـة : هـل تتخيـل : كـم مـن الاحتـمالات يُمكـن أن يقفـز إليـه هـذا الرقـم الأربعـة مليـون ؟ هـل ستسـتكثر حينهـا قـولي بـــ (مليـارات) السـنين ؟
فسكت محاوري ولم يُجب !
فقلت له :
أنـت لم تسـمع الجـزء الأكـثر تشـويقاً بعـد !!.. وهـو المُتعلـق بالناحيـة الثانيـة الدالة على خطـأ نظريـة الاحتـمالات هـذه في تكويـن السـيارة :فضـلاً عـن تكويـن الإنسـان الـذي هـو أعقـد وأعقـد مـن السـيارة !
الناحية الثانية ..
حيـث أن كل تفكـير الملحديـن في نظريـة صدفـة الخلـق : ونسـبة الاحتـمالات : يجعلونـه وكأن هـذا الكـون .. أو هـذا الإنسـان : قـد تـم رص أجزائـه جنبـاً إلى جنـب : مـن غـير أي تداخـل بينهـا !
ولذلك :
فقـد سهُـل عليهـم القـول بالصدفـة أو الاحتـمالات بغـير حيـاء علمـي ! بمعنـى آخـر للتوضيـح :
لـو أننـا أحضرنـا مسـماراً واحـداً (مـن النـوع القلـووظ) .. وأحضرنـا معـه الصامولـة

الخاصة به ثم ألقينا الاثنين معاً على الأرض : لننتظر : كم من السنين سيستغرق عدد الاحتمالات للحصول على : هذا المسمارٍ : بداخل الصامولة ؟! وهنا .. بدا على مُحاوري الدهشة الشديدة : وقد بدأ يفهم ما أُشير إليه !... فاستطردت قائلاً : بمعنى آخر أبسط وأبسط :
هل المشكلة هنا خلال كل تلك الاحتمالات : هي عددها فقط ؟!..أم أن المشكلة الأكبر هنا : هي أننا نحتاج ((شخصاً)) ما : يقوم بـ ((إدخال)) وأيضاً ((لف)) المسمار القلووظ داخل صامولته ؟ أي : أننا بحاجة لشخص : عاقل .. مُريد .. مُدبر .. فاعل : يقوم بهذه المهمة المُحددة : لأن المسمار القلووظ بكل بساطة : من المستحيل أن يلتف من تلقاء نفسه ويدخل صامولته .
مهما بلغت محاولاتنا لذلك : مليارات المليارات من السنين ؟
أليس كذلك ؟
فإذا كان هذا هو حال مسمار قلووظ واحد وصامولته : فكيف الحال إذاً بكل هذه السيارة بأجزائها التي يتطلب معظمها : تداخلاً وتعشيقاتٍ غاية الدقة : من المستحيل القيام بها من غير تدخل خارجي ..
فسكت محاوري ولم يرد أيضاً ...
وهنا : كان من المناسب جداً ربط هذه النتيجة واستسلامه لها : بمدى تعقيد خلق الكون : أو الإنسان على الأقل !
فقلت له : بالله عليك هل تعرف كيف تعمل عينك للإبصار ؟! وكيف تعمل أذنك للسمع ؟!. وكيف يتكامل عمل الأسنان مع الريق مع البلعوم مع سد مجرى الهواء عند البلع .. مع المعدة .. مع الأمعاء .. إلخ : هل تعرف كيف يتكامل كل ذلك في نظام لا تدري أنت حتى عنه شيئاً : فقط : لبلع لقمة خبز صغيرة وهضمها والاستفادة منه ثم إخراج فضلاتها ؟
ألم يُثر ذلك في تفكيرك أي تساؤل من قبل عن : ماذا لو كان جزء من العين أو الأذن أو الجهاز الهضمي مثلاً : هو سابقٌ لجزءٍ آخر !!!.. أو في غير مكانه ؟
هل كانت هذه الأجهزة البصرية والسمعية والهضمية مثلاً : هل كانت ساعتها

ستؤدي وظيفتها التي حددها لها الله عز وجل ؟!..
فصدق الله العظيم القائل عن نفسه أنه هو :
« الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ (أي تكوينه الذي خلقه عليه) : ثُمَّ هَدَى (أي ثم هدى كل جزء وكل عضو للعمل بوظيفته : دون حتى تدخل من الإنسان) « طه ٥٠
والقائل عن نفسه أيضاً :
« أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ : وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ « المُلك ١٤ ...
فكان الواجب على الإنسان عندما يرى كل شيء في هذا الكون : وقد حدد الله تعالى له وظيفة مُحددة يقوم بها .كان الواجب عليه ساعتها أن يسأل نفسه السؤال التالي :أنا ؟!.. ما هي وظيفتي في الحياة : والتي يُريدها الله تعالى مني ؟ والتي بسببها : حمل عني مشقة الانشغال بالتفكير حتى في جسدي : أثناء الإبصار أو السمع أو الهضم أو التنفس .... إلخ ..ليُفرغني لسبب هام وأساسي واحد ؟ فما هو ؟
وهنا يظهر قول الله عز وجل .
« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ : إِلَّا لِيَعْبُدُونِ « الذرايات ٥٦ ..
والعبادة هنا :
ليست الصلاة والصوم والزكاة والحج فقط .. ولكن : هي طاعة الله عز وجل في كل ما أمر أو نهى ... من العبادات .. إلى المعاملات .. إلى الأخلاق .. إلى الآداب ..
ونواصل معاً إخواني باقي أهم نقاط التحاور مع ملحد .

خامسا : استخدام الأمثلة البسيطة (ولا سيما من عصرنا الحديث) : للرد على الشبهات الفكرية لدى المُلحد وتفنيدها .

ذلك لأن المثال دوماً : هو أقرب للفهم إلى العقل البشري بجميع طبقاته ومستويات ذكائه فإن آفة كل المُفكرين والمتفلسفين الذين ألحدوا : أنهم لم يقفوا متأدبين أمام إمكانيات هذا العقل البشري المحدودة .. ذلك العقل الذي جعل الله قدراته هي : للاستدلال على وجود الله : وليس للتفكر في ذات الله تعالى نفسه !!!.. فضلوا للأسف وأضلوا ! فعقولنا : أشبه ما تكون بسيارة نقل : لها حمولة قصوى : ٢ طن مثلاً .. وهي التي بها تسير فإذا ما حملناها نحن بـ ٥ طن مثلاً : لاختلت وتوقفت ولم تستطع السير ! ومن هنا : فكل ما نحاول إعطاؤه للملحد من أمثلة وتشبيهات : هي فقط لتقريب بعض الآراء المطلقة : إلى عقله المحدود !

وإليكم من ذلك : المثالين التاليين :

الأول : كثيراً ما كان يسألني لا أدريين أو ملحدين عن : أوقات زمنية لله تعالى !

كان يسألوني مثلاً : ماذا كان يفعل الله تعالى قبل الخلق ؟ أو : ماذا كان يفعل في الفترة بين : قبل الخلق وبعد الخلق ؟ أو : كيف يكون الله قديم بلا بداية ؟ إلى آخر ما يُشبه ذلك من الأسئلة .

وكانت الإجابة : تعتمد على عدة نقاط ومفاهيم : لا يختلف عليها اثنان اليوم .... فكان يقف الملحد أمامها : لا يستطع جواباً !

النقطة الأولى :

وهي أن السؤال نفسه : لا يصح عقلاً من ملحدٍ يدعي العقل في التفكير ! أتدري لماذا (هكذا كنت أسألهم) ؟ فيقول أحدهم متعجباً : لا !!.. فأقول له : لأنه سؤال عن شهادة : بلا شاهد وإلا : فماذا لو سألتك الآن : عن ماذا كنت أفعل أنا في الساعة الثامنة صباحاً بالأمس ؟!!..

فهل ستستطيع الرد عليّ ساعتها ؟ أم أنك ستقول بكل بساطة : أنك لم تكن معي

ساعتها لتعرف ماذا كنت أفعل ! فسكت الملحد ولم يستطع الرد ..فقلت له :
وكذلك الله عز وجل .
فهل في عِلمك : أنه هناك مَن كان مع الله تعالى في تلك الأوقات التي سألت
عنها : حتى يُخبرنا بالإجابة ؟
يقول الله عز وجل :
« مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ..وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ
عَضُدًا » الكهف ٥١ .
النقطة الثانية :
وهي تتعلق بخطأ قياس وجود الله تعالى إلى وجودنا !!.. وخطأ محاولة إخضاعه
عز وجل (وحاشاه) : لنفس مفاهيم أفعالنا وأعمالنا ! من أول السؤال عن (مَن
خلق الله) !!.. (لأننا تعودنا أن كل شيء حولنا مخلوق) .. وانتهاءً بالسؤال عن
بعض أحواله ومقارنتها بأحوالنا !..
وإلا : وبالله عليك : فكيف تقيس الصنعة أحوالها : على الصانع أي : لو افترضنا
مثلاً أن سيارةً تكلمت ..فهل من العقل أن تتعجب هي : لأنها تمشي على أربعة
إطارات
في حين يمشي صانعها (وهو الإنسان) : على قدمين ؟ وهل من العقل أيضاً أن
تعقد مقارنةً بين غذائها البنزين .. وبين غذاء الإنسان ؟
والسؤال الآن :
إذا كان هذا (أي قياس أحوال الصنعة على الصانع) : لا يُستساغ عقلاً بين الإنسان
نفسه : ومجرد سيارة !.فهل يُستساغ مثل ذلك بين هذا الإنسان النكرة في هذا
الكون : وبين ربه عز وجل : خالق وباريء كل شيء
فسكت محاوري ولم يستطع الرد !
النقطة الثالثة والأخيرة :
وهي مجرد إعطاء مثال للملحد : بأن الله تعالى الذي خلق المكان والزمان : فهو
خارجٌ أصلاً عن هذا الزمان والمكان الذي نعرف !..فكيف يكون عنده : ما نفهم

نحـن مـن القبليـة والبعديـة ؟ وإليكـم التوضيـح .فكثـيرٌ منـا : لا يلاحـظ مثـلاً اعتـماد مفهـوم الزمـان : عـلى المكان !

بمعنـى أن اليـوم الواحـد (زمـان) : يعتمـد عـلى دورة واحـدة بـين الأرض والشـمس (مـكان)

وأن الشـهر الواحـد (زمـان) : يعتمـد عـلى منـازل القمـر أمـام الأرض (مـكان) ! وأن الفصـول الأربعـة (زمـان) : تعتمـد عـلى أوضـاع وميـل بـين الأرض والشـمس (مـكان) ! وأن العـام الواحـد (زمـان) : يعتمـد عـلى دورة كاملـة بـين الأرض والشـمس (مـكان) !

والسؤال الآن :

عندمـا خلـق اللـه تعـالى هـذه الأجـرام السـماوية : كالأرض والقمـر و الشـمس وسـائر الكواكـب والنجـوم والمجـرات .. إلـخ :

ألم يكن خارجاً منفصلاً بائناً عنها ؟

أي أنـه : لا يتحـدد بهـا مثلنـا نحـن !!!!.. وبالتـالي : لا يتحـدد أيضـاً مثلنـا بالزمـان الناتج عنهـا : وعـن حركـة كل منهـما في فلكـه ! فسـكت محـاوري أيضـاً ولم يسـتطع الرد !

سـؤالٌ آخـر : كان يأتينـي مـن ملحديـن .. بـل : ومـن بعـض المسـلمين أو النصـارى أيضـاألا وهـو :

كيـف يمكننـا (عقـلاً وواقعـاً) أن نتخيـل : أن اللـه تعـالى يمكنـه أن ((يرى)) و((يسـمع)) كل النـاس عـلى الأرض مثـلاً : في وقـتٍ واحـد ؟

فأمـا المؤمـن منهـم : فإنـه يعـرف أن هنـاك مناهـي لا يجـب عليـه تخطيهـا بالسـؤال عـن اللـه عـز وجـل و(كيـف) يفعـل كـذا وكـذا ! مثـل قـول أئمتنـا الكـرام عـن وصـف الاسـتواء عـلى العـرش : « الاسـتواء (أي كفعـل) : معلـوم .. والكيـف (أي كيـف يسـتوي اللـه عـز وجـل عـلى عرشـه) : مجهـول .. والسـؤال عنـه : بدعـة (أي : بدعـة في ديـن اللـه : لم يُكلفنـا اللـه تعـالى بالسـؤال عنهـا !!)

بـل ويكفـي المؤمـن أن أقـول لـه (وكـما كان يقـول سـلفنا الصالـح) : أن الـذي يرزقهـم في وقـتٍ واحـد : هـو نفسـه الـذي يراهـم ويسـمعهم في وقـتٍ واحـد ! حيـث كان المسـلم يفهـم مـن هـذا الـرد : عظيـم قـدرة اللـه تعـالى الـذي : ليـس كمثلـه شيء ! حيـث كان

بهذا الرد : يستدل المسلم بتقريب شيءٍ ملموس مُشاهد من ذهنه (وهو وصول الرزق للناس جميعاً في وقت واحد) : على سماع الله تعالى ورؤيته أيضاً للناس جميعاً : في وقتٍ واحد ! وكيف لا وهو الكامل القدرة فوق ما نتخيل !
فهو الذي يعلم السر وأخفى من نفس كل إنسان : يتساوى لديه عز وجل ظاهر الناس مع باطنهم ! وأولهم مع آخرهم ! وأدناهم مع أبعدهم !
ولكن مع غير المسلمين أو الملحدين للأسف : فالإجابة تتطلب لإقناعه مادياً : أكثر من هذا في أحيانٍ كثيرة ! ولهذا .. فكنت أضرب لبعضهم المثال التالي .
كلنا يعرف الآن مثلاً : القدرات الهائلة التي صار يمكن إضافتها لبصر الإنسان العادي فمن أشعة إكس التي ترى العظام من وراء اللحم !!.. إلى الأشعة الحرارية أو التحت الحمراء إلخ ولا شك أن كل ذلك إذا أخبرت به رجلاً منذ قرون مثلاً : لقال لك أنك : مجنون !!.. أو : تتحدث عن ضرب من الخيال !
والشاهد :
أنه ليس كل ما يجهل الإنسان كيفيته : يصير غير ممكناً أو غير موجوداً ! وها هو الهواء من أمامنا : يمتليء بملايين الأشياء الصغيرة جداً التي لا نراها !!.. فسبحان مَن يتساوى في بصره الصغير والكبير ! والآن ... تعالوا نقوم باستغلال هذه المعلومات أكثر وأكثر .
كلنا يعرف اليوم : أنه بواسطة ثلاثة أقمار صناعية على الأقل : موزعةً حول الكرة الأرضية :
فنحن نستطيع مشاهدة أي مكان على سطح الأرض : ورؤية تفاصيله !!.. (كما صار ذلك سهلاً الآن مثلاً ببرنامج جوجل إيرث الشهير .. ومن قبله : الأقمار الصناعية التجسسية) ..
والآن ماذا لو أضفنا لهذه الأقمار : مجسات دقيقة للصوت المُوجه ! أي يمكننا من خلالها : ضبط سماع الصوت : على أي نقطة من الأرض : وعلى والمسافة والارتفاع المطلوب !

أيضاً :

ماذا لو أضفنا إمكانية الرؤية الليلية لهذه الأقمار (بالأشعة التحت الحمراء مثلاً) !!!.. أو استطعنا إضافة إليها الرؤية الحرارية أو حتى بارتداد الموجات الصوتية !

السؤال :

إذا افترضنا أن كل ذلك : قد تم بأجهزة فائقة التطور والقوة والدقة : ألن نستطيع بكل ذلك أن : نُحكم مراقبة كل ما في الأرض : صوتاً وصورةً ؟!!.. بل وحتى : ما تحت الأرض نفسها وداخل المباني وباطن الجبال وما تحت مياه البحار والأنهار والمحيطات أيضاً ؟

حسناً .... والآن : ماذا لو افترضنا كائناً على شكل كُره مُفرغة كالبالون مثلاً : يُحيط بكوكب الأرض من الخارج : وله من العيون والأسماع الراصدة : ما هو أكثر بكثير من مجرد ثلاثة أقمار صناعية !.. ولنقل مثلاً : أن له من تلك النقاط الراصدة : ما هو حاصل ضرب (٣٨٠ درجة) في (٣٨٠ درجة) أي : (١٤٤ ألف و ٤٠٠ نقطة راصدة) فهل تتخيل قمة الدقة والإحاطة في الرؤية أو السماع ساعتها ؟ والتي لو افترضنا مضاعفة قوتها آلاف آلاف المرات : وكلما كبر حجم هذا الكائن : حتى ليشمل : ليس الأرض فقط .. ولا المجموعة الشمسية فقط .. ولا حتى السماء الأولى بمجراتها ولكن : كل هذا الكون المرئي لنا بسماواته السبع وغيره !..فهل ستتأثر الفكرة الأساسية في شيء ؟ فسكت محاوري ولم يرد : مُتعجباً من هذا الفرض الغريب ! ولكنه في نفس الوقت : كان متفهماً لكل ما أقول : موافقاً عليه .

فزدته قائلاً :

والآن يتبقى إشكال محاولة تخيل : كيفية تلقي كل هذه المعلومات وتحليلها في وقت واحد

حسناً عقل الإنسان يفعل ذلك ! والكمبيوتر يفعل ذلك .

وأيضاً :

عين الذبابة الشبه كروية تفعل ذلك !!!!!.. (حيث ترى في مجال ٣٦٠ درجة تقريباً في جميع الاتجاهات من أمام وخلف ويمين ويسار في وقت واحد) : وهذا هو سر

صعوبة ضربها من أي اتجاه !
والآن كان هذا المثال فقط : هو لبيان (عقلاً وواقعاً) : (إمكانية) رؤية وسماع كل مَن في الأرض وفي وقت واحد ! وليس الغرض من هذا المثال : هو إعطاء فكرة تقريبية تجسيمية
عن شكل الله تعالى (حاشا لله : وتعالى سبحانه عن تشبيه المُشبهين) وذلك لأن الله تعالى يقول عن نفسه في القرآن : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ : وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ » الشورى ١١ ..
أي :
أن الإنسان مهما بلغ به من الخيال والتفكير والتشبيه : فلن يقترب حتى من تمثيل الله تعالى بشيء نعرفه نحن بفكرنا وعلومنا المحدودة !
والتي لا نسبة لقدراتنا فيها : مع قدراته وصفاته عز وجل ! فهو سميع .. ولكن : ليس كسمعنا ! وبصير .. ولكن : ليس كبصرنا ! بل : وإذا كانت مخلوقاته سبحانه وتعالى : تتفاوت كثيراً في تلك القدرات والصفات (كقوة سمع بعض الحيوانات كالقط مثلاً ! وقوة بصر بعض الطيور كالصقر مثلاً) . فما بالنا بالتفاوت بيننا وبين خالق الخلق كله ؟
فسكت محاوري ولم يرد .

سادسا : عدم نسيان التركيز على الجانب الروحي والنفسي في الحوار مع الملحد .

وذلك لأن الملحد : هو من أشقى البشر نفسيةً ومعاناةً روحية !
لماذا ؟
لأنه يتمرد على وضعه الطبيعي (الروحي والنفسي) في الحياة : ألا وهو الإيمان بالله عز وجل : والذي حدد له وظيفة الطاعة والعبادة في هذه الدنيا !
من هنا :
فالملحد الذي يُجهد نفسه : في الابتعاد عن الله تعالى والاعتراف به : فهو كطبق الصيني مثلاً : والذي رضي أن يُستخدم كشاكوش ! فيا سرعان ما ينكسر عند أول طرقة مسمار ! فلا هو عمل بوظيفته التي صُنع من أجلها (كطبق للطعام) . ولا هو الذي حافظ على نفسه من التهشم والضياع (لاستعمال نفسه في غير ما صُنع له : وهو الشاكوش) ! والمثال لتقريب الفكرة بالطبع .
والشاهد :
أن الملحد : يُعاني من الأرق النفسي الشديد .. ومن العذاب المعنوي المرير .. ومن الخوف .. ومن الشعور بالشذوذ وسط الناس ! مهما حاول إخفاء ذلك خلف ستار من : الراحة الخادعة ! أو القناعة الكاذبة والرضا بالإلحاد ! أو السرور المُزيف !
((فالنار ما زالت تحت الرماد : مهما حاول إخفائها هؤلاء)) !
حتى أن بعضهم : قد يلجأ إلى الانغماس الشديد في الشهوات أو المُلهيات : حتى يُنسي نفسه هذه الحقيقة الداخلية التي لا مفر ولا راحة منها مادام واعياً مستيقظاً ! وبعضهم يتعمد تغييب عقله وإلهاء نفسه : وذلك من فرط خوفه من الله : ذلك الخوف الداخلي الذي أيضاً لا مفر له منه) وكل هذه النقاط الروحية والنفسية : لا يجب إغفالها في الحوار مع الملحد . بل : يجب محاولة التطرق معه للمعاني الروحية مثل : الحب (كحب الوالدين أو الزوجة والأولاد) .. والحياة (كفرحة الميلاد بمولود جديد) .. والموت (وهو حزن الفراق لإنسان عزيز) إلخ ..

حيث أن كل هذه المعاني الروحية : تساعد في إيقاظ إنسانية الملحد .. وتساعد في تذكيره بتوافق الدين معها ومعه كفطرة ! فالحب بين الرجل والمرأة : يُشجع عليه الدين في إطار الزواج !..وكذلك حُب الأبناء : فيجمعك الله بهم بعد موتك ! وكذلك موت الآباء أو الأعزاء : يجمعك الله بهم في الآخرة في الجنة بإذن الله تعالى !

وهكذا نجد في الإيمان من الطمأنينة ما لا يجده الملحد في إلحاده ! وذلك لأن الملحد من المفترض (ووفقاً لإلحاده) : ألا تساوي المعاني الروحية للحياة عنده فعلياً إلا : الرقم صفر !

إذ لو أن الإنسان هو مجرد : حادث عارض في هذا الكون : لا هدف .. لا حساب .. لا ثواب .. لا عقاب .. لا منهج .. لا أمل ..

إذاً :

فمن المفترض أنه يتساوى عنده (نظرياً) : الموت والحياة !..إذاً (وهذا السؤال كثيراً ما كنت أوجهه للملحد) : لماذا الخوف من الموت ؟!.. أو : لماذا لا تُقدم على الانتحار ؟!

فلم أكن أتلقى إجابة

وأخيراً : مراعاة حال الملحد أثناء الحوار من العلم والانفعال .

فبعض الملحدين : يتأثرون مثلاً بالدلائل والتفنيدات العلمية لشبهاتهم : أكثر من غيرها !!.. وهؤلاء : يُستحب محاورتهم على قدر الإمكان : بما يُستشعر تأثيره فيهم أيضاً بعض الملحدين : قد ينفعل في حواره : وذلك رغم تعمد المحاور الهدوء معه ... وغالباً ما يكون ذلك : إما عن كلمة ثقيلة على نفسه سمعها من محاوره (وهذا خطأ من المحاور) ..وإما أن يكون ذلك منه : علامة على استنفاد كل شبهاته فلم يبق له إلا علو الصوت أو حدة الخطاب ! إلى غير ذلك من الأسباب التي قد تطرأ على الحوار .. وعندها : يُستحب أيضاً تركه لفترة ليهدأ .. ولكي يُعيد ترتيب أفكاره مرة أخرى في ضوء كل ما دار بينكما من حوار ..حيث كثيرٌ منهم يعود إلى رشده بعدها والحمد لله .إما في لحظات .. وإما في فترات .. يتحلى فيها المحاور بالصبر .

وأختم معكم ببعض النصائح

قد يكون مفيداً أن تقوم بتذكيره من الحين للآخر : بعدد الشبهات التي قمت بتفنيدها له أثناء الحوار .. مبتدئاً من أعلاها خطورة أو أهمية (وهي الشبهات في وجود الله) .. وانتهاءً بما سواها : فذلك يؤكد له الانطباع بهزيمة فكره الإلحادي بينه وبين نفسه ! فيكون أطوع بعد ذلك لقبول الحق بإذن الله .

كما أن هناك من الحالات المعاندة أو الغامضة في الحوار الكتابي : ما لا يكون حلها إلا بالحوار المباشر وجهاً لوجه إذا أمكن .. أو حتى بالماسينجر أو برامج المحادثة الصوتية الأخرى .

كما أنه من النصائح الفعالة أيضاً : أن تنصحه بعدم الدخول إلى مواقع الإلحاد التي تمتليء بالأكاذيب والافتراءات والشبهات المتاهفتة : طالما أنه أضعف عقلاً وفكراً وعلماً شرعياً منها ..

وأخيراً : يمكنك نصحه بكتابة كل ما ارتاح له عقله وقلبه من تفنيدات للإلحاد واقتنع بها : أن يكتبها في ورقة : ويكتب بجوارها أنه : قد عرف فيها الحق واطمأن به : وأنه لن يعد للتفكير فيها مرةً أخرى من جديد !

فهذا سيفيده كثيراً للحماية من انتكاسة مستقبلية لا قدر الله .. مع محاولة إرشاده أيضاً على أول طرق طلب العلم البسيطة (سواء بالقراءة : لو كان يحب القراءة .. أو سماع الأشرطة أو مشاهدة الفيديوهات لمشاهير العلماء الأفاضل .. وهكذا) ..

ولا ننسى قراءة القرآن : ومحاولة تجويده : وتخصيص وِرد يومي له .. والبدء في قراءة تفسيره .. فهو كلام الله تعالى الذي به تطمئن القلوب : قراءةً أو سماعاً !!..

والله تعالى من وراء القصد ... يقول عز وجل :

« إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ : يَهْدِي مَن يَشَاء ..وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » القصص ٥٦ ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته